

بِحَبَابِ اللُّغَةِ .. الأُفْسَى

جهاول اللأفغان - الأفراف

شعر

الأأفورأابرقمأفة
الأستاذ بأأافة الألاف فهد للبروك والمقارن
الأطهران

أطلب من

مأأفة وهبة

أأارة الأأهورفة - عابأفن

أأافة - أ - ٣٩١٧٤٧٠

الإهداء

إلى شهيد الإسلام وشهيد الجهاد الأفغانى: الدكتور
عبد الله عزام..

أهدى هذه الكلمات محبة وتحية ووفاء...

جابر

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرفت على القضية الأفغانية أول ما تعرفت عن طريق القراءة أو القراءات العابرة على مدى عدة سنوات فى أواخر السبعينيات. كنت آنذاك فى القاهرة، ولم تكن وسائل الإعلام العربية بعامة، والمصرية بخاصة على مستوى القضية وأبعادها: كان هناك نوع من التعتيم الإعلامى المقصود على هذه القضية بكل أبعادها، وخصوصاً بعدها الجهادى، وإسلامية هذه السمة فى نضال الشعب الأفغانى. وكان الاتجاه السياسى الرسمى العام فى ذلك الوقت ينجح نحو الكتلة الشرقية، وكانت نفمة «الاشتراكية» مازالت تترع الأسماع، وتلطم المشاعر، وتغالط الواقع والأخلاقيات. ورأينا بعض الصحف تصف جهاد الشعب الأفغانى بأنه محاولة أو محاولات انقلابية، وبعضها وصفه بأنه تمرد ضد الحكومة الشرعية، وظلت صحيفة «مصرية» يسارية متطرفة لاتصف المجاهدين إلا بالمتمردين.

وكانت رؤيتى ومازالت — شأن كل الإسلاميين — أن ما وصف بالتمرد أو الخروج على «الشرعية» أو محاولة الانقلاب.. الخ إنما هو صورة نقية من من صور الجهاد الإسلامى.

ولأبالغ إذا قلت أنها أنقى الصور القائمة على الساحة العربية والإسلامية فى وقتنا الحاضر.

فلا عجب أن نسعد بالجهاد الأفغانى سعادة بلا حدود:

— لأنه جاء فى وقته المناسب.. أى فى وقت اعتقد فيه أعداء الإسلام — بعد هزائم العرب المتكررة أمام إسرائيل — أن « الشخصية الإسلامية » المناضلة المثابرة المصابرة لم يعد لها وجود.

— ولأنه جهاد صريح خالص لا تشوبه شائبة، ولا يحمل ولاء للحكومة خارجية، أو أيديولوجية غير إسلامية. فهو جهاد يحكمه سمو الغاية التى تتلخص فى تحقيق أمرين هما:

١ — تحرير أرض أفغانستان، بالكامل من الشيوعية والإلحاد والحكام العملاء الخونة.

٢ — إقامة دولة إسلامية تحكم بالقرآن والسنة، وتسير على شريعة الله ومنهاجه.

— كما أن قيام دولة إسلامية بهذه الصورة يحمل معنى كبيراً جداً، ويبعث إحياء قوياً بالتحرر للجمهوريات الإسلامية التى التهمت روسيا فى غفلة من الزمن والعالم وضممتها إلى ما يسمى بالاتحاد السوفيتى.

— وقيام مثل هذه الدولة — من جانب آخر — سيعد ضميمته لها قيمتها، وطاقة قوية تضاف إلى طاقات الدول العربية فى معركتها أو معاركها التى تواجهها إسرائيل على المدى الطويل، وتواجهها التحديات السياسية والعقدية على المستوى العالمى.



كانت هذه هى رؤيتى للقضية الأفغانية من بعيد، ثم شاء الله أن أتقدم خطوة أو خطوات نحوها لأراها عن كسب، وأعيش لفترة بعض الذين يعملون لها ويضحون من أجلها، ففى ١٨ من أكتوبر سنة ١٩٨١ — وكنت

آنذاك مدرساً بكلية الألسن بجامعة عين شمس— غادرت القاهرة إلى الولايات المتحدة مبعوثاً من وزارة التعليم العالي المصرية أستاذاً زائراً لمدة عام بجامعة ييل (Yale) بمدينة نيوهافن بولاية كونكتكت.

وفى أواخر ديسمبر من العام نفسه— وعلى مدى أربعة أيام— حضرت مؤتمراً بمدينة سبرنج فيلد « Spring Field » بولاية ألينوى للشباب المسلم العربى حضره قرابة خمسة آلاف من الشباب. وكان شعار المؤتمر «الأسوة الحسنة» وحول هذا الشعار دارت أغلب المحاضرات والندوات، وقام الشباب المسلم— فى دقة رائعة وانضباط منقطع النظير بكل الأنشطة والأعمال والخدمات التى يتطلبها المؤتمر.. يصدق ذلك على تقديم الطعام بوجباته الثلاث وأعمال النظافة والحراسة والتسجيلات الصوتية والنشرة اليومية المطبوعة والسوق الخيرية.. الخ حتى أشادت الصحف الأمريكية ببراعة هذا التنظيم ودقته، ويومها كتبت فى نشرة المؤتمر— التى كانت تصدر يومياً— «... لقد آمنت بإمكانية قيام الدولة الإسلامية المنشودة، لأن ما رأيته من دقة وتعاون ونظام ونشاط وإخلاص فى التدبير والتنفيذ.. يجعل من المؤتمر صورة مصغرة «للدولة الإسلامية التى نتطلع إليها، وتفوق قلوبنا إلى وجودها...»

وفى هذا المؤتمر العظيم كان أول لقاء لى بالدكتور عبدالله عزام الذى كان واحداً من أعلام المحاضرين والخطباء فى المؤتمر. وفى إحدى الأمسيات شرح عبدالله عزام أمام هذه الألوף المؤلفة من الشباب أبعاد القضية الأفغانية، وسمعت منه كلاماً جديداً جعلنى ازداد إيماناً بمصداقية الجهاد الأفغانى. كان عبد الله عزام يتكلم بنبض إيمانى دفاق باسم الإسلام والجهاد والدم الزاكى بذله أكثر من مليون شهيد. ولكن هذه العاطفة القوية الجياشة كانت مصحوبة بمنطق عقلى علمى متزن وقور.

وفى تضاعيف كلامه حث عبدالله عزام شباب المؤتمر على التبرع للمجاهدين واليتامى والأرامل والجرحى ببعض ما لهم، وانضم لصوته صوت قوى آخر يتدفق بلاغة وإيماناً هو صوت الدكتور يوسف القرضاوى .

وفى ربيع ساعة كان أمام الرجلين على منصة الخطابة ما يزيد على ربيع مليون دولار، عدا مفاتيح عشرات من السيارات الفاخرة مصحوبة بتنازلات عن ملكيتها لصالح القضية الأفغانية، وهذا كله عدا «أثقال» من الحلوى الذهب تبرعت به السيدات المسلمات اللائى كن يحضرن المؤتمر فى قاعة مستقلة، وقد علمت أن الواحدة منهن كانت تجرد عنقها وأذنيها ويديها من حلبيها الفاخر وتضعه فى منديل وتقدمه تبرعاً وهى تلهج بقولها «ماعند الله خير وأبقى»

كان عزام مندوباً عن المجاهدين الأفغان فى المؤتمر، ولم أكن أعرف عنه إلا أنه فلسطينى الجنسية، وأنه أحد الأعضاء البارزين المخلصين فى جماعة الإخوان المسلمين، وأنه يعمل أستاذاً للشرعة الإسلامية فى الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد بباكستان، وأن له صلة قوية وثيقة بقيادة المجاهدين الأفغان وخصوصاً «سياف عبدرب الرسول»، وقيل إنه كان همزة الوصل بين المجاهدين الأفغان وبعض الشعوب العربية وأصحاب الاتجاهات الإسلامية الحريصين على مناصرة المجاهدين الأفغان، وغما الجهود المبارك بعد ذلك بفتح مكتب فى مدينة بشاور لإعداد المجاهدين من المتطوعين العرب الذين وفدوا إليه بالمئات، ولتلقى التبرعات، وتنسيق الجهود على كل المستويات.. وكان عبدالله عزام هو القائم على أمر هذا المكتب ورعاية شؤنه .



وكان لقاءنا الثانى فى الجامعة الإسلامية بإسلاام آباد التى أعرت للعمل بها لمدة خمس سنوات (١٩٨٤ - ١٩٨٩) وهى الجامعة التى يعمل بها الدكتور عزام، وتعددت لقاءاتى به فى الجامعة حتى كادت تكون لقاءات يومية سريعة.

ثم كانت لقاءاتنا فى منتديات ومحاضرات عامة، وكان - رحمه الله - حريصاً على حضور الأمسيات الشعرية التى كنا نقيمها فى الجامعة أو مقر اتحاد الطلاب العرب، فقد كان يحب الشعر ويتذوقه ويحفظ كثيراً منه، ويستشهد ببعض الأبيات الشعرية المتوهجة فى مقالاته.

واذكر فى هذا المقام، أنه - رضوان الله عليه - ما كان يلقانى فى الجامعة ونحن فى طريقنا لأداء محاضراتنا فى الفصول إلا أوقفنى وقال وعلى وجهه ابتسامة عريضة:

- «لن أتركك إلا إذا أملت على بيتاً من شوارذ الشعر» ويخرج من جيبه «نوتة» صغيرة، ويسجل فيها ما تسعنى به الذاكرة، وأذكر أنه التخط بإعجاب قول أبى تمام فى رثاء محمد بن حميد الطوسى:

وما كان إلا السيف لاقى ضربةً
فكسرها ثم انثنى فتكسرا

وقوله فى رثاء إخوة ثلاثة من بنى حميد قتلوا فى معركة واحدة:

لعمرك ما كانوا ثلاثة إخوةٍ
ولكنهم كانوا ثلاث قبائلٍ

وقول شاعر - لا أذكر اسمه - فى نفس المعنى:

كان من نفسه الكبيرة فى جِدِّ
ش وإن خيل أنه إنسان

وذات يوم فى لقائنا العابر بالجامعة قال «أريد بيتاً فى الغربية» ..
ضحكت وقلت له أكتب المثل المصرى أو العربى المشهور «الغربة كربة»
قال مبتسماً: «أعنى غربة الروح». وأحسست أنه شعر بالارتياح العميق
حينما كتب بيت ابن الرومى:

أعاذك أنسُ المجدِ من كل وحشةٍ
فإنك فى هذا الأثامِ غريبُ



أما آخر اللقاءات فكان بعد صلاة العشاء مساء يوم من أيام فبراير سنة
١٩٨٩. كنت ألقى محاضرة عامة فى قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة،
وموضوعها:

«رائد الجهاد الفلسطينى عز الدين القسام: فى التاريخ والأدب».
وأثناء المحاضرة دخل عبدالله عزام ومعه أبوه الذى جاوز الثمانين: شيخ قصير
القامة، علاه الشيب، ولكن الحيوية تظهر فى عينيه وقسمات وجهه،
وكان معها العالم العراقى المجاهد الشيخ محمد الصواف. وعلق الشيخان:
عزام والصواف على المحاضرة بكلام طيب. وكان تعليق عبدالله عزام كله
أو أغلبه غزلاً فى الشهادة ومقام الشهداء، حديث من يمتد بنظره وروحه
إلى نيل هذا الشرف العظيم.

هذا والمعروف أن عبدالله عزام ترك العمل بالجامعة سنة ١٩٨٧ ليصغر
تماماً لمقتضيات الجهاد الأفغانى، وليصبح عالماً من أعلام هذا الجهاد، أما
الأدوار النبيلة التى قام بأدائها فهى أكثر من أن تحصى وتعد.



وعدت إلى مصر — بصفة نهائية — فى يونيو ١٩٨٩، وعلمت بعد عودتى بأسابيع نياً استشهاده هو وولديه. قلت يرحمه الله لقد حقق الله له أعلى أمنية حرص على تحقيقها طيلة حياته. وانعكست سيرته وعظمته حروفاً مشرقة مضيئة فى قصيدة «الفارس الذى سعد».



وعوداً على بدء أقول إننى طوال خمس سنوات قضيتها فى إسلام آباد عشت بمشاعرى بطولات من الجهاد الأفغانى لم نشهد لها مثيلاً إلا فى عهد الرعيل الأول من الصحابة الكرام. وكانت مدينة بشاور الباكستانية التى تقع على الحدود الأفغانية هى قاعدة المجاهدين ومقر عبدالله عزام — رحمه الله — وهى لا تبعد عن إسلام آباد أكثر من مسيرة ساعة ونصف بالسيارة، فكانت تصل إلينا أنباء البطولات قبل نشرها فى الصحف وبشها فى الإذاعات.



وقد حرصت على أن أسجل ما ذكرته آنفاً لأخلص بعد ذلك إلى حقيقة أعتز بها وهى أننى أدين بالفضل للجهاد الأفغانى فى نظمى لقصائد هذا الديوان، ولعشرات غيرها تدور فى نفس الفلك وأمل أن ترى النور ذات يوم. نعم أدين بالفضل لهذا الجهاد ببطولاته الفذة، فقد كان هو «المثير»، وكان هو «المصدر الأصيل» الذى استقيت منه نسيج هذه القصائد، بعد أن تركت نظم الشعر لفترة طويلة انشغالاً بعدد من البحوث الجامعية والإسلامية.

وأقرر كذلك فى هذا المقام أن من القصائد التى لم تنشر فى هذا

الديوان مطولة نونية من مائة وستين بيتاً، نظمها في يناير ١٩٨٩ بعنوان «اليوم قامت دولة القرآن» ومطلعها:

ارفع لواءك يافسى الأفغان
فاليوم قامت دولة القرآن

نظمها وتبأت لنشرها مطبوعة ومسجلة بصوتى احتفالاً بسقوط كابل باقتحام المجاهدين لها، وإعلان قيام الدولة الإسلامية، وكان الأمل معقوداً على أن ذلك سيتم بعد شهر أو بعض شهر بعد أن ضيق المجاهدون الخناق على كابل وجلال آباد. ولكن الأمل لم يتحقق وعسى أن يتحقق قريباً إن شاء الله.

ومن القصائد - التي لم يضمها الديوان - ملحمة من خمسين صفحة بعنوان (الفارس الذى غاب) نظمها بمناسبة استشهاد ضياء الحق رحمه الله، وكان صاحب أياذ بيضاء على الجهاد الأفغانى.



وأخيراً أتبه إلى أن قصائد هذا الديوان كلها نظمها أثناء إقامتى فى باكستان ما عدا قصيدتين:

الأولى: قصيدة «الفارس الذى صعد»: فقد نظمها وأنا فى القاهرة بعد عودتى النهائية إليها، وبعد استشهاد عبد الله عزام - رحمه الله.

والثانية: قصيدة «نداء عاجل إلى قادة الجهاد الأفغانى» فقد نظمها فى مدينة «الظهران» بالمملكة العربية السعودية فى أكتوبر ١٩٩١.



ولا أدعى أن هذه القصائد تفوق على قصائد نظمها في الجهاد الأفغانى من هم أشعر منى من الشعراء الإسلاميين. بيد أنى حاولت فى هذه القصائد المتواضعة أن أكون صادقاً مع نفسى، ومع المواقف والأحداث والشخصيات التى عاجلتها هذه القصائد، بعيداً عن «التزويق» والتحليق الرومانسى الشارد. ومن ثم لم أحاول أن أنقح واحدة منها لتكون أخصب خيالاً وأنضح فناً — بل تركتها كما نظمتها بنت العفوية والتلقائية.

وقد تقترب هذه العفوية أحياناً من أسلوب الحديث العادى، أو مايسمى «بالأسلوب الدارج» كما ترى فى قصيدة «رحيل من غير وداع» وقصيدة «الموت ولا العار». وأنا أدرك ذلك تماماً، وكان من السهل — بعد مضى قرابة خمس سنين على نظمها — أن أعمل فيها قلمى صقلاً وتهذيباً. ولكنى آثرت — كما قلت — أن أنقل إلى القارىء ما نظمت بأمانة كما هو.. لأن ذلك أقرب إلى صدق المعالجة فى آنا من جانب. ومن جانب آخر لأن هذه القصائد — بهذا المستوى — تمثل مرحلة فنية مرّ بها صاحب هذا القلم المتواضع، لم أرد أن أزيها «بمساحيق تجميل لاحقة» إن صح هذا التعبير.

وصفوة ما يقال فى هذا المقام أن قلبى أملى على قلمى فانطلق مسجلاً ما يلى عليه دون تدخل من «عقلى الواعى» أو «صنعتى الفنية».

والحمد لله رب العالمين،،،

دكتور جابر قبيحة

الظهران ١٤ من جادى الأولى ١٤١٢
٢٠ من نوفمبر ١٩٩١

لِجِهَادِ الْأَفْغَانِ أُغْنِي

لِجِهَادِ الْأَفْغَانِ أُغْنِي
لِلشَّعْبِ الزَّاحِفِ
كَيْمَا يُظَلِّعَ فَجْرَ الْحَقِّ
أُغْنِي ..



وَالْمِیُونِیْنَ مِنْ الشَّهْدَاءِ
زُرْعُوَارِ الْأَرْضِ عَظَاماً
وَنُخَاعاً
وَعُیُوناً
وَسَقَوَهَا
عَرَقاً .. وَدَمَاءً
أَمْضَى .. وَأُغْنِي



لِکِتَابِ حَوْلِ جَلَالِ أَبَادٍ
أَوْ کَابِلٍ
تَنْقِضُ کِبْرکَانَ عَاثٍ

أشدُّ وأغنى

• • •

لفيالق ... خاصمتِ النوم
لتزحف في إصرارِ نارِي
تصدق قيثاري ..
وتغنى ..

• • •

للطفل الجائع
عند حدودِ بشاور
يبكي بالدمع المـوجوع
من ألم الجوع
لكن لم يهزفه الجوع
بل يحيا أملَ النصر
.... أغنى

• • •

للشعب الصخري
سليل القاسم ...
إبن عميد المنتصر ..

أَغْتَى ..



لا تسألني ..
أَنْ أَجْعَلَ مِنْ قَلَمِي وَتَرًا
فِي قِيثَارٍ ..
يَعزِفُ لِحَنَ رِثَاءِ يَاكَ
لَأُمِيرٍ مِنْ نَسْلِ الشَّمْسِ
قَتَلَ الأَمَلَ
وَأَحْيَا اليَأْسَ
بَدَّرَ البُؤْسَ
وَزَرَعَ النَحْسَ



أَنَا لَنْ أَعزِفَ
سَمْفُونِيَّةَ رَقِصِ عَارِمٍ
فِي فِرْحِ الوَثَنِ البَشْرِيِّ
حَيْثُ تَدورُ كُؤُوسُ نِفَاقٍ
وَتَقَاسِمُ
وَمَرَاسِمُ
وَتَبَادُلِ صَفَقَاتِ كَبْرِي

فُتْبَاغُ شَعُوبٍ مَطْحُونَةٍ

وَبَقَايَا أُمَّمٍ مَسْكِينَةٍ

بِكَلِمَاتٍ ..

وَلَقِيمَاتٍ ..

وَمَوَاعِيدٍ ..

وَمَوَاجِيدٍ ..

وَلِقَاءَاتٍ ..

وَعَنَاقَاتٍ ..

وَهْتَاغَاتٍ ..

لِسَمَاسِرَةٍ ..

وَقِيَاصِرَةٍ ..

بِاسْمِ دَعَاوَى السَّلْمِ الزَّائِفِ

بَيْنَ نِيُوبِ الذُّئْبِ الْكَاسِرِ

وَاسْتِسْلَامِ الْحَمَلِ الْخَائِفِ



إِنِ الْكَلِمَةَ عَرَضُ الشَّاعِرِ

إِنِ الْكَلِمَةَ عَرَضُ الشَّاعِرِ

فَإِذَا مَا لَتْ ...

نَحْوَ الدَّرَكِ الْأَدْنَى السَّافِلِ

فى مُستنقع مدح داعيز...
لنفاق السلطانِ الجائر
كانت لعنة
تطرُدُ صاحبها مَدْمُوماً
من فردوسِ اللهِ الأعظمِ
منكوساً..
موكوسَ الجاة
يتمنى الموت
ولا يلقاه..



وأنا عشتُ لقلمى شاعرُ
عشتُ لقلمى ..
ليسَ بقلمى
عشتُ عزيزَ النفسِ أيباً
عاتى الضَّرمِ
حتى فى ظلماتِ الألمِ
عشتُ أنيسى صوتُ اللهِ
من عزتهِ أجنى الجاة
وبإحساسى وبأعماقِ

كنتُ أراه
فأناديه
وأناجيه
وأسيرُ بركبِ حواريِّيه
وأعطرُ جبهتي الحرة
بركوع .. وسجودٍ خاشع
في محراب جلالِ الله
وفيوض من نورٍ ساطع ..
ملاً الأرض ..
وملاً سماءه .



فلتمدخني
أو تلعني
أو حتى تتبرا مني
لستُ أبالي ...
فأنا قد عاهدتُ ضميري
وأذان البيت المعمور
وغصون الشجر الزيتون
ودموع الشعب المطحون

سأظلّ بروحى وبفنى
لجهاذ الأفغانِ أعتى

● ● ●

كَلِمَاتِي سَتَكُونُ سِلَاحًا
كَالسَيْفِ الْبِتَّارِ الْقَاصِمِ
وَتَفِيضُ سَعِيرًا
لَا يُبْقَى أَثْرًا
لِلْمَلْحِدِ وَالظَّالِمِ
وَتَكُونُ ضِيَاءٌ وَعَبِيرًا
يَبْعَثُ فِي الشَّعْبِ الْأَفْغَانِيِ
صَبْرًا ...
وَفِدَاءً ...
وَعِزًّا .
فَلَهْ قَلَمِي
وَلِهْ فَتَى
وَسَأَبَقَتِي لَيْلِي وَنَهَارِي
لِجْهَادِ الْأَفْغَانِ أَعْتَى

إسلام آباد
يناير ١٩٨٦

نشيد الزحف الأفغانى

إلى كابلٍ يا جنودَ الرسولِ
وخللوا السيوفَ تصولُ تجولُ
إلى كابلٍ يا جنودَ الرسولِ
وخللوا السيوفَ تصولُ تجولُ



إلى كابلٍ كى تفكوا الحديدِ
عن الشعبِ هذا الابى العنيدِ
ويسحقَ ليلَ الأسى والعبيدِ
ويشرقَ نورَ الكتابِ المجيدِ
فتزهر كل الربى والحقولِ
إلى كابلٍ يا جنودَ الرسولِ



أخى استشهدَ الأمسَ فى قندهازِ
وكان أخى وأبى والنهازِ
فات ليُطلعَ شمسَ الفخازِ
ويسقى الكيرملن ذلا ونازِ

قَضَى راضِيَ القلبِ وَهُوَ يَقُولُ
إِلَى كَابِلِ يَا جُنُودَ الرَّسُولِ



فَمَا كَانَ مِثْلِي لِيَسْتَسْلِمَا
وَمَا هُنْتُ يَوْمًا أَنَا الْمُسْلِمَا
سَلُّوا الْمَوْتَ عَنِّي إِنْ حَوَّمَا
وَلَيْلَ الْمَلَاحِمِ وَالظَّالِمَا
أَنَا الْحَشْدُ وَالْمَجْدُ حِينَ أَصُولُ
إِلَى كَابِلِ يَا جُنُودَ الرَّسُولِ



إِلَى كَابِلِ فَالْتَلَاكَ هُنَاكَ
تَرِيدُ لِقَاكَ وَتَهْوَى هَوَاكَ
لَتَشْقِيَنَّ مَوْسِكُو كَثُوسَ الْهَلَاكَ
فَلَيْسَ لَهَا مِنْ مُغِيثٍ سِوَاكَ
وَمَنْ كَابِلِ زَحْفُنَا لِلْخَلِيلِ
إِلَى كَابِلِ يَا جُنُودَ الرَّسُولِ

إسلام آباد

يونيو ١٩٨٦

نشيد يوم الدم

تَقَلَّمُوا.. تَقَدَّمُوا فَالْيَوْمُ يَوْمُكَ يَادِمٌ
وَلَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا مَنْ يَنْحَنِي أَوْ يَحْجِمُ

● ● ●

يَا مَنْ غَصِبْتُمْ أَرْضَنَا بِأَرْضِنَا لَنْ تَنْعَمُوا
هِيَ قَبْرُكُمْ .. وَإِنَّهَا عَلَيْكُمْ .. جَهَنَّمُ

● ● ●

تَقَدَّمُوا.. تَقَدَّمُوا فَالْيَوْمُ يَوْمُكَ يَادِمٌ
وَلَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا مَنْ يَنْحَنِي أَوْ يَحْجِمُ

● ● ●

عَمَزَ سِلَاحَكَ لَا تَهْنُ لَا يَعْرِفُ الدِّينُ الْوَهْنُ
فَدِينُنَا دِينُ الْجِهَانِ دِلَالِهِ وَالْوَطَنُ

● ● ●

تَقَدَّمُوا.. تَقَدَّمُوا فَالْيَوْمُ يَوْمُكَ يَادِمٌ
وَلَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا مَنْ يَنْحَنِي أَوْ يَحْجِمُ

● ● ●

مَآذَكَ قَوْمٌ جَاهِدُوا وَسِيفُهُمْ لَا يُغْمَدُ
حَيَاتُهُمْ سَاخُ الْوَعَى وَمَصْحَفٌ وَمَسْجِدُ



تَقْدِمُوا.. تَقْدِمُوا فَالْيَوْمَ يَوْمُكَ يَادُمْ
وَلَسَنَ يَكُونُ مُسْلِمًا مَنْ يَنْحَنِي أَوْ يَحْجِمُ



إِنْ تَنْصِرُوهُ نَنْتَصِرُ مَهْمَا عَدُوْنَا كَثُرُ
إِمَامُنَا قَرَأْتَنَا وَأَحْمَدُ خَيْرُ الْبَشَرِ



تَقْدِمُوا.. تَقْدِمُوا فَالْيَوْمَ يَوْمُكَ يَادُمْ
وَلَسَنَ يَكُونُ مُسْلِمًا مَنْ يَنْحَنِي أَوْ يَحْجِمُ

إسلام آباد
أغسطس ۱۹۸۶

نشيد ربح الجنة

هَبِّى رِيحَ الْجَنَّةِ هَبِّى هَبِّى رِيحَ الْجَنَّةِ هَبِّى
وَاشوقَاةَ لِلْقِيَا رَبِّى وَرَسُولِ اللَّهِ وَالصَّخْبِ

● ● ●

هَبِّى رِيحَ الْجَنَّةِ .. هَبِّى هَبِّى رِيحَ الْجَنَّةِ هَبِّى

● ● ●

إِنَّا قُمْنَا لَهَبًا عَاصِفٌ .. ضَدَّ الْكُفْرِ وَضَدَّ الْغَضَبِ
وَسِلَاحِى مَدْفِعِى الْقَاصِفِ وَيَقِينِى نَوْرِ فِى قَلْبِى

● ● ●

هَبِّى رِيحَ الْجَنَّةِ .. هَبِّى هَبِّى رِيحَ الْجَنَّةِ هَبِّى

● ● ●

إِنْ جَنَّ اللَّيْلُ فَرَهْبَانُ نَسْجُدُ لِلَّهِ عَلَى قُرْبِ
أَمَا فِى الصَّبْحِ فَفُرسَا لِلضَّرْبِ وَنِيرَانِ الْحَرْبِ

● ● ●

هَبِّى رِيحَ الْجَنَّةِ .. هَبِّى هَبِّى رِيحَ الْجَنَّةِ هَبِّى

● ● ●

بالحقّ سنهزمُ أعدانا ونذيقُهُمُ طعمَ الرُّعبِ
ونحققُ نصرًا.. ربّنا فى الشرقِ صداهُ وفى الغربِ

● ● ●

هبّى ريح الجنة.. هبى هبى ريح الجنة هبى

● ● ●

أو نلقى اللهَ شهداءً ياما أعظّمهُ من كسبِ
أن نحيا سعدًا وهناءً بنعيمِ نشوانِ عذبِ

● ● ●

هبى ريح الجنة.. هبى هبى ريح الجنة هبى

هبى ريح الجنة.. هبى هبى ريح الجنة هبى

إسلام آباد
أغسطس ١٩٨٦

أبطال الجهاد الأفغانى

لا تذكركم فيالقا من تغلب
وقواريساً من عبسٍ أو ذبيانٍ

دغ عنك هوميراً ودغ طروادة
وخوارق اليونان والرومان (١)

وانظر، سينثسيك الملاجم كلها
أسطورة تدعى الفتى الأفغانى

صنع البطولة - والبطولة هم
بعزيمة عمرية الايقان



الله أكبر!! إننى أحيائهم
فى زخفيهم بالقلب والوجدان

بُعثوا من الماضى التليد شواخاً
ومحووا حدود الأرض والأزمان

(١) هو مير: شاعر اليونان الشهير وناظم أعظم وأشهر ملحنين فى التاريخ وهما: الالبابذة والأوديسة.

دَعْنِي أُمَّلَى نَاطِرِي مِنْ مُضْعَبٍ
وَأَعِيشَ مَعْنَى الْحَقِّ فِي سَلْمَانَ (٢)

وَكَذَا عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرَ
وَتَهِيمِ رُوحِي فِي سَنَا عُثْمَانَ
وَأَقُولُ مَرَحِي حَمْزَةً وَأَسَامَةً

مَعَهُ الْمُثَنَّى الْفَارِسُ الشَّيْبَانِي
وَتَرَفَرُفُ الرِّيَاطِ فَوْقَ قَتِيْبَةٍ

وَمُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ الْمُرَوَّانِي (٣)
بَطْلِ الْفَتْوحِ بَارْمُثِيلِ وَذَيْبِلِ
وَالسَّنْدِ وَالْبَيْرُونِ وَالْمُلْتَانَ (٤)

هَذَا هُوَ الْمَاضِي الْجَلِيلِ بِمَجْدِهِ
يَحْيِيهِ إِصْرَارُ الْفَتَى الْأَفْغَانِي



عَاشُوا النَّهَارَ فَوَارِسًا مَرْهُوبَةً
وَهُمْ بِجُوفِ اللَّيْلِ كَالرَّهْبَانِ

(٢) سلمان: هو سلمان الفارسي.

(٣) محمد بن القاسم بن محمد فاتح الهند الشهر.

(٤) أساء مناطق وبلاد فتحها محمد بن القاسم بعضها حالياً يتبع باكستان وبعضها يتبع الهند وبعضها يتبع أفغانستان.

عزمٌ حديدٌ فى لقاءِ عدوهم
 تهتزُّ منه جوانبُ الميدانِ
 أما محاربُ التُّقى فلا ذهم
 ودموعُهم فيها كما الهتان (٥)
 اتخذوا الكهوفَ معاقلاً ومرابضاً
 ومن الشُّفوحِ الدامياتِ مغانى
 يتكلمون بملفَعٍ .. وقذيفةٍ
 وكأنهم وُلدوا بغيرِ لسانِ
 ومن السكوتِ بلاغةٌ عُلويةٌ
 تتجاوزُ الآمادَ من سحبان (٦)
 حتى إذا صاح الأميرُ «تقدموا»
 سبقتْ قلوبُهُم إلى النيرانِ
 كانوا هنا، صاروا هناك، تقحموا
 وتمكنوا وتحقق النصران:
 نصرَ لدينِ الله فهو ربيعهم
 ولأنَّ قهرَ النفسِ نصرَ ثانٍ



(٥) الهتان: المطر الشديد.

(٦) سحبان بن وائل: خطيب أموى من أشهر خطباء العرب وأفقههم.

كم من ليال كزّ فيها بردها
 بجليده العاتى كما الطوفان
 سدّ المنافذ واستباح جلودكم
 فصبرتم صبر القويّ الهانى (٧)
 ليم لا ، وصوت الله فى أعماقكم
 وأنيسكم دفاء من الإيمان
 فهزمتم البرد الغشوم وثلجته
 ما الثلج إذ ما قيس بالبركان ؟
 وكذلك روسيا الكفر ولّت بقلما
 سقطت فيالقها من الخسران
 وضربتم منهم رؤوساً أينعت
 وطفقتم مسحاً لكلّ بنان
 فأعدتم أيام بدر حية
 فى عزة يوم التقى الجمعان
 وهوت رؤوس الكفر وهى ذليلة
 وعلت عليها راية القرآن



(٧) الهانى : السعيد الذى لاتنال منه ولا تخزنه المصاعب والكوارث .

يا أمة الأفغان نصرك - وافخرى -
ما كان لولا قوة الإيمان
تلك التي جعلت شيوخاً قاربوا
مائة من السنوات كالشبان
يتقدمون طلائعاً وكتائباً
لا يرهبون قذائف النيران
ويرطبون شفاههم وقلوبهم
بالفتح والانفال والرحمن
وهتفاهم «هبى رياح محمد»
فعادنا فى جنة الرضوان
هذا هو السر الذى لا ينقضى
فى حكمة علوية الأردن
«القوة العظمى بشعب مؤمن
والنصرُ بالآيمان لا الطيران»

إسلام آباد

يونيو ١٩٨٧

تحقيق صحفى مع مجاهد أفغانى جاوز السبعين

يا أحبابى ...
إنى صحفىً عربى
لا أملكُ إلا أوراقى
والقلمَ المستوردةً والكاميرا
... صحفىً يحيا عِصرَ الغربه
استدعانى فى الليلِ رئيسُ التحريرِ
وصاحبُ لقمةِ عيشى
اسمع ...
تتنكرُ فى زىِّ أفغانى ...
حتى لا تُكشَفَ فى أرضِ الأفغان
وعندَ بشاور
يصحبك اثنانُ
ستقأُ إلى جهةٍ ما ...
التفصيلاتُ اتفقَ عليها
لا تسأل
كلُّ المطلوبِ كتابةً تقريرٍ بالتفصيلِ ...

تغطيةُ الحرب وما تشهد
بالقلم وبالتصوير.
اسمع ...
جرنا لى ينتظر السبق الصحفيًا
وتذكر أمرين :
الأمر الأول : تتكز
والأمر الثانى : الصمتُ التامُّ ..
فلا تتكلم «

(٢)

وضحكتُ لنفسى
فى نفسى
فأنا أعلم أن العاقلَ فى مفهوم العصر
— أعنى عصرى ...
عصر الغربة —
من يسكنُ تابوتِ الصمتِ
فلا يتكلم
لكن يملكُ — دون ضجيج —
أن يتألم
أتكز؟؟!!

إني أعلمُ أيضاً — يا صاحبَ لقمةِ عيشي —

في عصرى .. عصرِ الغربة ..

من لا يتنكرُ ...

لا يتمكنُ ... لا يتأمرُ

بل قد يفقدُ لقمةَ عيشه

فالوجهُ الواحدُ

ما عاد يوافق «تكنولوجيا» العُضُر.

والوجهُ الواحدُ ...

لا ينتجُ في عصرى هذا غيرَ الخُسْر

(٣)

ومع الرجلين مَضَيْتِ

وقطعتُ دروباً صمَاءَ

واجترتُ وهاذا عمياءَ

والليلُ كقلبِ الكافرِ

أو أدرةِ الجِنَّةِ

تحتضنُ جبلاً سوداءَ

والصمتُ كساحةِ قبرِ

لا تسمعُ فيها إلا نبضاً يتشاءبُ

أو وقعَ الأنفاسِ المتلاحقةِ الحيرى

لكنى ...

— والحق أقول —

كدت أطيّر

وكانى فى خفة شاب فى العشرين

فأخيراً ...

أنا أولُ صحفىِّ عربىِّ

فى أرضِ المجد .

(٤)

وشهدتُ ...

أخرجتُ الكاميرا

وأدرتُ الكاميرا

يا لله ... !!

خانتنى الكاميرا ..

يا لله ... !!

عجزتُ عدساتُ الكاميرا

أن تلتقط المشهد

فالمشهد لا يرصدُهُ ويسجلُهُ إلا إنسانُ

أوتى نبضَ الإنسانِ

وصفاء مشاعرِ اتقى من قطراتِ الأنداء

والعظمة كانت — إذ أشهدُها —
أوسعَ آمادا
من طاقةِ هذى الكاميرا الصماء



والفجر... ولبال عشرُ
أنا لم أشهدُ إلا قوماً سحقوا الصخرُ
بإرادتهم .. وبروح الله
أمرُوا الأُمَرَ فكان الأُمُرُ
عقدوا العزمُ
على أن يُولدَ فى الأفغانِ الفجرُ
لا تسألُ عنهم فنَّ الشعرِ وسحرَ القولِ
بل سلْ عنهم صفحاتِ الليلِ
وطوفانِ الويلِ
يُصبُّ لهيباً أحمر...
فوق المنجلِ والمطرقةِ المأقونةِ
والنجمِ الأحمر..
كى تسقُظُ رايهُ كفر حقاءُ
وتعلو رايهُ حقُّ شماءُ
« يا منصورُ أمتُ

يا منصورُ
يا أحمدُ مسعودُ هنالكَ في جبلِ النارِ
يا منصورُ أُميتُ
لا ترجعُ
واصل زحفك يا منصور
فأنت الأعلى
يا سيافُ
يا ربّاني
يا يونسُ خالصُ
يا حكمتُ يازُ
يا جندَ الرحمنِ هنالك
في جبلِ النارِ
صبُّوا صبُّوا حممَ النارِ
لتترزّلَ أركانَ الظالمِ
وتمزقَ أحلامَ الغاشمِ»



(٥)

ويهبُّ الحكامُ بموسكو
مذهولين سُكاري ..

والفجر..

وليال عشر

ما كانوا أبدا بسكاري

لكن عذاب الله شديد

وهدير الحق لظى وحديد

وصمود الأفغاني عنيد

والهول الأكبر يزأر في أرض الأفغان

تتساءل موسكو البلهاء

— ما هذا؟

فتجيب عصابات العملاء

«تمرّد صبية...»

زوبعة قامت في فنجان»

لكن الحق يقول:

«هي معجزة وُلدت في أرض الأفغان

فهناك كتائب خرساء

منطقها المدفّع والناز

رايتهم مثل «عقاب» رسول الله

عالية بالحق وشماء

قد خطّ عليها

بمداد من نور وعناد:

وأعدُّوا ...
فالغايَةُ ربي
ومحمدٌ هديي
دستُوري كلماتُ الله
وسبيلي ..

أن أقتلَ حتى أقتلَ أو انتصرا
والموتُ شهيدًا أسمى أملٍ أتمناه ..

(٦)

كانت هذي أنشودةً فجرٍ أسمعُها
بل أشهدُها
بل — صدَّقني — أحيها
نبضًا .. أنفاسًا ... حسًا ...
ألمًا .. عصبًا
أحيها

وتسيلُ الأنشوةُ في جوفِ الليل
سعيراً منغوماً :
المعزفُ مدقِّعٌ ..
واللحنُ هزيمٌ لا يُدفعُ
والعازفُ أفغانِيٌّ مُسلمٌ

شابُّ في سنِّ العشرين يقاتلُ
طفلٌ ما شبَّ عن الطوقِ يقاتلُ
شيخٌ جاوزَ سنَّ السبعين يقاتلُ

(٧)

يا للشيخ العاكفِ في خندقه
فوقَ المدفعِ
ويرطبُ شفثيه بآياتٍ من ذكرِ الله
تتلمظُ عيناه
ينتظرُ الصيدَ
كتيبةَ روسٍ أو عملاءِ
أنهكها الإلحادُ
وأثقلها جبنُ الجبناءِ
حتى أصلَ إلى الشيخ المتوثِّبِ
ألتقطُ الأنفاسَ
أخرجَ قلمي والقرطاسَ
أسألهُ ملهوفاً :

« من أنت ؟

ما أنت ؟

وكيف ؟

وأنتي ؟

و... و...»

وتجفُّ بجليّ الكلماتُ

« الحقّ .. الحقّ أقول :

إني مسلمٌ

إني سيفٌ لا يعرفُ معنى الخوفِ

إني ثورةٌ حقٌّ

في وجهِ الكفرِ

ووجهِ الزيفِ

(٨)

إني رفضٌ ..

إني « لا »

خرجتُ في ظلمةٍ ليلٍ خائنٍ

تحملُ جبلَ الألمِ الكامينِ في الأعماقِ

تلقيه بوجهِ العدوانِ الإلحاديّ الغاشمِ

(٩)

إني رفضٌ ...

إني « لا »

قالتها بالحقِّ « حماة »

قالها بالحقّ فعاشت

كلّ فصول المأساة

— واحترقت

بنت الإسلام « حماة »

وجباهُ رجال

ما سجدت إلا لله

وشفاه كم رطبها ذكر الله

والإسلاماه !!

وعلى دربهم ...

قمنا نحمل الأطفال المفجوعين الرضع

ولكى تبقى أنداء الفجر

على الشجر الأخضر

ونعيش ليوسف والانفال وللكوثر

(١٠)

إني نبض الجوع القاتل

في أحشاء رضيع مجرم ..

إي والله

قالوا « مجرم »

يتحمل وزر البشرية

فأبوه فلسطيني نازح

في « شاتيللا »

والأم — لسوء الحظ —

فلسطينية

عفوًا يا ولدي

إذ ذابت فوق شفاك الطفلية

صرخاتُ الجوع الملتاعة

يا أمّاه :

أعطيه حلمةً تُذكرك

حتى لو جفت منه القيعانُ

أعطيه ..

لعل الثديَ يجودُ بنقطةٍ لبنٍ مقهورة

هربتُ في أعماقِ الصدرِ

بساعاتِ الكربِ المدعورةِ

يا أمّاه ...

ضميه إليكِ

بالله

ضميه إليكِ

أعطيه الحلمةَ يا أمّاه

واعتصري

اعتصري
من يدري يا أمّاه ؟
فلسانُ الطفلِ يدورُ
يدورُ
كالباحثِ عن قدرٍ مقدورِ
وأخيراً
يُطبقُ فكَّينِ
كحذّي سيفِ صديءٍ مثلومِ
يتمصُّ ويتمصُّ .. ويتمصُّ
عفوا يا ولدي ..
عفوا يا ولدي ..
صماءٌ — يا أطفافَ الله —
متحطبةٌ ...
متحجرةٌ تلكَ الحلمةُ
عمياءٌ ..
واكرباءةٌ ..
لكن — حمداً لله —
جادت هذى الحلمة
أعطت جرةً لبينِ ملأتُ فاه
يا لله

ما كانت جرعة لبين
بل كانت دفقة دم
وسمعنا أنهم قد دفنوه
فى قبر
ضمّ رفات الشرف العربى
واقدساه

(١١)

أنا صرخةُ هذا الطفلِ
تموجُ بنبضِ الجوعِ المفجوعِ
وذووهُ ثمالةُ أشباحِ ذابِلَةٍ
قد شاء لهم جيشُ الخنصيانِ
أن يحصرهم
فى خيمةِ ذلِّ منتَهَكَةٍ
فى لبنان ..
فى شاتيلا ..
حرموهم حتى كسرةِ خبزٍ
عُمِستْ فى ذلِّ الطينِ
حتى لو كانت من غسلينِ
حرموهم جرعةَ ماءٍ يرجوها محتَضِرٌ

فى لحظةِ غرغرةٍ
تسبحُ فى سَكَراتِ الموتِ
يا أمّاه

مات الزرعُ
وجفّ الضرعُ
وفاض الدمعُ
ولا يوسفُ
وبطولةُ جيشِ الخِصيانِ
هبت تحصدهمُ
وتحاصرُ من أفلت منهم
— من طاحون الموتِ —
فى خيمةٍ ذلّ منتهكةٍ
واولداه ...
وأمّاه ..
واقدساه

(١٢)

تسألنى : من أنت ؟
أقول :
« إنى ... »

لكن .. أرهف سمعك
وافتح قلبك
إني أسمع ...
تسمع مثلي؟؟
وقع سنابك
هدر صواعق
صوتاً يَدوى فى الآفاق:
» والإسلامة ..

قد زحفت خيلُ ابن القاسم !!
أنا أشهدُها
بل أحيها

وسيمضى سيفُ ابن القاسم
وستركبُ خيلُ ابن القاسم
وأنا جنديُّ تحتِ لوائه
ومضائي من هدى مضائه
وبه سيفيضُ الوطنُ الحرُّ ضياء
ونعانقُ نصرًا وشروفا
قلْ جاء الحق
وزهقَ الباطلُ

إن الباطلَ كان زهوقاً»

إسلام آباد

سبتمبر ١٩٨٧

- (*) نظمت هذه القصيدة في وقت كانت فيه إحدى الجماعات القتالية اللبنانية تحاصر الفلسطينيين في شاتيلا وتمنعهم الماء والطعام حتى مات كثير من الأطفال والشيوخ وأكل بعضهم لحوم الموتى.

الموت ولا العار

عاش مجاهداً يقاتل أعداء وطنه ودينه في وهاد أفغانستان وجبالها . وعاد من جبهة القتال فى إجازة قصيرة لزيارة زوجته الحامل ، فنشبت به ، وألحت عليه أن يبقى بجانبها ، ويترك القتال من أجل وليده المرتقب ، وطال الحوار بينه وبين زوجته . وودعها ، وعاد إلى ساحة الجهاد إلى أن لقي ربه شهيداً .

(١)

تقولُ — وقد شقَّها وجُدَّها ..

وفى مقلتها يهيمُ الأسى

— أبوكُ مضى

وأخوكُ قضى

وأكبرُ أبنائنا فى الجراح

قعيدُ الجراح

وأنت — مُصيراً — تريدُ الذهاب

حملتُ السلاح

وخُصِّتُ الكفاح

شهوراً عديدة

فيجزوكُ اليومَ ما قد مضى

وهذا جنينُ ببطنى دفينُ

غدا يشهدُ الفجرُ « وآتية »

ويبصرُ لآخرين أباً

ويسأل فى لوعةٍ باكية :
أليسَ لنا مثلُهم من أب ؟
كفاك كفاخ
كفانا جراح
بغيرك لن نستطيعَ الحياةَ
فأنتَ المنى .. والهوى .. والحياةَ

(٢)

— شريكةَ دربى
أثيرةَ قلبى
ذريتى أقاتلُ
فما مزقَ الظلمَ إلا مقاتلُ
وما حقَّقَ النصرَ إلا مناضلُ
وإلا فإنى أموتُ انتظارا
وعهدى مع الله لا ينقضى
بأن أجعلَ الصخرَ فى الأرضِ نارا
وأقلبَ ليلَ المآسى نارا
فإما أموتُ بأرضى شهيدا
وإما أحققُ فيها انتصارا
أقولُ فذا مدفعى هايتَه

أحققُ للمجدِ غاياته
وأرفعُ للحقِّ رايته
وأدركُ للدينِ ثارته
وأتلومع النصير آياته

(٣)

لا تقولى لى جنينى
فالذئابُ اللاعقاتُ الدمَّ
تجتأح الروابى .
والأفاعى
تزرع السمَّ بأرضى
وتراوى ..
وكلابُ الروسِ
والغَةُ بميراثِ محمد
وتقولين جنينى !!؟

● ● ●

وانظرى لبلّ اليتامى
يملاؤن الأرضَ
بالصرخاتِ
فى فزعِ اليمِّ

« أين راح المعتصم؟! »
« أين سيفُ المعتصم؟! »



والشكالى ...

إنهتة

فى غيابات الأسى

أسمعُهتة

يحملُ الفجرُ المَعْتَى

صوتُهتة ..

دامياتِ النبر

من وقع الأسنة

فاتركينى أحهنه

— أنتِ أيضاً أختُهتة —

وليكنْ صدرى لهنَّ اليومَ جُنَّة

لأردِّ العار عن أعراضهن

فوقَ خيلِ مُورياتِ القلج

شءِ الأعنة



لا تقولي لى جنينى ..

واتركبني ..

إن من يחדشُ ديني

ويقينني ..

مثلُ من يسحقُ قلبي

مثلُ من يقطعُ

بالسيفِ وتينى .

عندها ...

ليسَ إلا المدفعُ الهدارُ

يزهو غضبا

ليس إلا أن أدكَّ الغاصبا

ليس إلا أن تموجَ الأرضُ

من فيضِ المنايا

وأروِّها دمايا

(٥)

وكما يكرهُ

أن يلقى الحبيبُ الصادقُ الحبَّ

على الغدرِ حبيبه

آثمَ القلبِ ...

وقد جَلَّ بالعارِ جبينهُ

إننى أخجلُ ..
أن ألقى - معى عارى - محمد
ناكسَ الرأسِ بيومِ البعثِ
خزيانَ الجبينِ
يومَ تبيضُ من البشرى وجوهُ
يومَ تسودُ من الخِزى وجوهُ
كيف ألقاه بعارى ؟
قبل أن أدركَ ثارى ؟
قبل أن أجتاحَ أعدائى بنارى ؟

(٦)

يا عذابى حين ألقاه
فيسأل :
« أين كنتم ؟
يوم هُنتم ؟
يوم ضِعُتُم وأضعُتُم ؟
كيف أضحى مجد هذا الدينِ
ميرانا مُبدَّد ؟
أين كنتم يوم ضاعَ القدسُ
والمحرابُ

والعزَّ المشيد؟
أين ما صُنَّاهُ في بدرٍ
وفى خيبرَ
واليرموك
بالفتح الممجَّد؟
أين سيفُ ابني صلاح الدين
فى حطين؟
أين جيشُ المؤمنين الراكعين الساجدين؟
أين نصر خطه قُطِرَ
بجالوتِ البطولة؟
أين روحُ المسلم الحقِّ
وآياتُ الرجولة؟
«وأعدُّوا» أين ولَّتْ؟
«قاتلوهم» أين فرَّتْ؟
«واقتلوهم» أين قرَّتْ؟
أين فى قاموسكم صوتُ «براءة»؟
والإباءُ الحقُّ أذهبتُم مضاءةً.
وهجرتُم شرعةَ الحقِّ فهنتُم
وتبعتم دَرْبَ سادات أضلُّوكم سبيلا
وكثرتُم .. فكسرتُم

بعد أن صرتم غُشاءَ
وهباءَ

ليت شعرى ..
كيفَ تعنؤِ جبهةَ المسلمِ للأرضِ
وقد كانتَ سماءَ؟»

(٧)

فاتركيني
إنني أحجلُّ أن ألقى — معى عارى — محمد
لا تقولى لى جنينى
إننى أذهبُ
كى أنقذ آلافَ الأجنَّةِ

(٨)

فإذا ما حانَ حَيِّنى
ورويت الأرضَ
من دَفَقَاتِ دَمِّى
جاعلاً قلبى وعظْمى
تربةً للزهرِ فى أرضِ البطولةِ
لا تُراعى ..
واذكرينى

واذكري أنني قد صغت من العزيم نشيدًا
عاصفت الألحان

جبارا عنيدًا

واذكري قصة موتي

عندما يسأل عني

« أين يا أمي بابا » ؟

أذكرى لابنتي أنني

قد تحررت من الطين المزيف

وانطلقت

رافع الرأس

لكي ألقى محمد

ناصر الجبهة ريان الفؤاد

يوم تبيض من البشري وجوه

لا تقولي « مات — يا ولدي — أبوك »

بل فقولي :

« إنه اليوم مخلد .. »

« إنه اليوم مع الهادي محمد »

(٩)

لا تقولي لي جنيني

إِنِّي أَذْهَبُ
كِي أَنْقَذَ آلَافَ الْأَجْنَّةِ
فَاسْمَعِي لِي .
أَقُولُ :
فَذَا مَدْفَعِي هَاتِيهِ
أُحَقِّقُ لِلْمَجْدِ غَايَاتِيهِ
وَأَرْفَعُ لِلْحَقِّ رَايَاتِيهِ
وَأَدْرِكُ لِلدِّينِ ثَارَاتِيهِ
وَأَتْلُو مَعَ النَّصْرِ آيَاتِيهِ .

إسلام آباد
فبراير ۱۹۸۸

رحيل من غير وداع

«تكثر طيفون» طالب تركى كان يتلقى العلم فى كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد فى باكستان حيث كنتُ أعمل (معاراً من كلية الألسن بجامعة عين شمس فى مصر). وكان تلميذى «تكثر» حسن السمات، مشرق الوجه طويل الصمت. وكان كثير الانقطاع عن الدراسة، على الرغم من ذكائه الواضح.. وإقباله على القراءة والتحصيل، ولم يقدم لى سبباً واحداً وجيهاً لانقطاعه المتعددة.

وفى أواخر ديسمبر سنة ١٩٨٧ تركت إسلام آباد لأداء العمرة وزيارة أبنائى فى القاهرة، وعدت إلى إسلام آباد بعد أسبوعين ليخبرنى الطلاب أن «تكثر طيفون» قد لاقى ربه شهيداً فى إحدى المعارك داخل أفغانستان.

واكتشفت أن انقطاعه المتعددة عن محاضرات الجامعة ترجع إلى ذهابه لأداء واجب الجهاد فى عمق أفغانستان دون أن يعلن عن ذلك.

لقد حاول رحمه الله أن يجمع بين «الكتاب والمدفع» إلى أن نال «الشهادة الكبرى» التى صيغت بلمحه الزكى، وكان اسمه الحركى «محمد طه». وقد أقيمت هذه القصيدة فى الاحتفال بذكراه فى مسكن الطلاب بإسلام آباد فى ١١/٣/١٩٨٨.

... وقرأتُ صحيفةَ أحواله

الإسمُ: تكثرُ طيفورُ

جنسيته تركى وافد

والعمرُ: يقاربُ عشرينا

والعملُ: طالبُ علم فى الجامعة الإسلامية

فى الفصل السابع

عالية اللغة العربية

والمسكنُ : بيتُ الطلابِ

• • •

وأداعبهُ ..

وأنا أَرصُدُ

في كشفِ الطلابِ الغائبِ والحاضرِ

أ «تكثرُ أنتِ» ؟

أم أنكِ — يا ولدي — تدعى «تتكرُ» ؟

يبتسمُ ...

ويقولُ بخجلٍ عذريّ :

قلها .. أستاذي ..

قلْ أيّ الإسمينِ تشاءُ

فأقول :

«لا تلكَ ولا هذي ...»

أدعوكَ — وهذا أحسنُ — «طيفور»

ولأصرفَ نظري

عن «تتكر» أو «تكتنوز»

• • •

قد كانَ بسيطاً .. وحيياً

صافياً اللمحاتِ

نقى السَّمْتُ
ويطيلُ الصمْتُ
ويعيشُ الصمْتُ
وكأنَّ نداءً عُلُوياً يحدوهُ
يدنيه إلى ..
يُنَادِيهِ ...
من خلف الغَيْبِ
« لا تَبْعُدْ عَنَّا
وتَقَرَّبْ مِنَّا ..
واتركْ هذى الأَرْضِ
لطينِ الأَرْضِ
عَبَادِ الأَرْضِ
وتزودْ لرحيلِ عُلُوِّى المَسْرَى
قدسىِّ الوَمَضِ
عَطْرِىِّ الفَيْضِ
فالموعِدْ حانَ ..
والموعِدْ هذى المَرَّةَ يا طَيْفُورَ
جَنَّةِ رِضْوَانِ
وحواصلُ طَيْرِ خَضِرِ
تَسْبُحُ فى ظِلِّ العَرْشِ

عرشِ الرحمنِ ..



وأعوذُ من القاهرةِ لأسأل

أسأل طلابي ...

أسأل عنه

لاذوا بالصمت

فقرأت النبأ الفاجع

في قاموسِ الصمت

فبكيت .. وبكيت ...

وبكيتُ بقلب

زلزله جبروت الموت ..

أمضيت ؟

أمضيت سريعاً يا ولدي .. ؟

ورحلت غريباً يا ولدي ؟

أكذا يا «تكثر» من غير وداع ترحل ؟



لم تحضر أمك يا ولدي ...

مشهد رحلتك الأبدية

تحمملك الأيدي يا ولدي ..

جسدًا فضيا ..
وسريًا ...
كفنته الدم ..
هل مازالت أمك — يا ولدى —
تتهجد في جوف الليل وتدعو
« بارك يا ربي ولدى تكثر
وامنحه النعمة والصحة
ياذا الفضل
واجعله على قمة من ينجح
من طلاب الفضل »
هل مازالت أمك — يا ولدى —
تحلم بالمستقبل مجداً
للإبن الغائب في حب العلم ؟
وتباهي الجيران ...
بقلب تُرقصه الفرحة والشوق ؟
ولدى سيعود قريباً
وشهادته الكبرى في اللغة العربية
لغة القرآن
من باكستان
تجعله عند بنات الجيران

فتى الأحلام ...
ولا الفرسان
لكتى لن أختارَ عروساً لابنى « تكنزُ »
إلا من كانت ذات جمال
يتفقُ بحقٍ وشهادته الكبرى
فى اللغة العربية
لغة القرآن .. »



ومضيت ..
بشهادتك الكبرى
يا طيفور .. مضيت ..
وشهادتك الكبرى
— هذى المرة يا ولدى —
فى ميدان لا يعرفُ قلماً
أو قرطاس
بل تُزرى بشهادتِ الناس
عباقرة الناس ..



وقرأتُ صحيفةً أحوالكُ

أعنى : وأعدتُ قراءتها ..

الإسم : تكثر طيفوز

لا ...

استغفر ربي ...

الإسم : نورٌ وزهورٌ

والجنسيةُ : ربانتيُّ مسلم

والعمرُ : خلودٌ ممدودٌ

والعملُ : شهيدٌ موعودٌ

والمسكنُ : جنهُ رضوانُ

وحواصلُ طيرِ خضيرِ

تسبحُ في ظلِّ العرشِ

عرشِ الرحمنِ ..

عوذة مُصعب بن عُمَيْر

• كان مصعب بن عمير بن هاشم بن عبدمناف من بيت غنى ومال، وقد هرع إلى الإسلام شاباً، وتخلّى عن كل هذا النعيم والمال والجاه وكان أول داعية لرسول الله - عليه السلام - في المدينة قبل الهجرة . وحمل لواءه في أحد، وفيها استشهد . وفي مارس سنة ١٩٨٨ كنت في إسلام آباد، وعلّمنا باستشهاد شاب من أثرياء السعوديين آثر أن يترك متاع الدنيا مجاهداً في صفوف المجاهدين داخل أفغانستان . فكانت هذه القصيدة .

(١)

ويُحّ نفسي .. !!
مات ميلادي القديم
إنني في حاجةٍ حرّى ..
لميلادٍ جديدٍ
نابحٍ كالفجرٍ من صُلبِ الحقيقةِ
بنسيجِ ثائرِ النبضِ
لهيبِ العُتقوانِ
ودماءٍ من مَضَاءِ
وضميرٍ من ضياءِ
وجبينٍ من إباءِ

(٢)

يا دنيا عُرّى غيرى

هل أنتِ إليّ تعرّضتِ
أم أنتِ إليّ تشوّقتِ
هيهات — أسلم — يا دنيا
يا دنيا ما أعظمَ خطرَكَ !!
يا دنيا ما أقصرَ عُمرَكَ !!
ما أهونَ زادِكَ يا دنيا !!
والدربُ طويلٌ وشريدٌ
والسّفَرُ شقِيٌّ وبعيدٌ
والزادُ الحقُّ هو التقوى
لا ما تهوينَ
وما أهوى ..

(٣)

ما الذى قد غيّرَكَ
فأخرجَكَ ؟
تركُ المالِ
وظلَّ الرّوضِ
والزوجةَ
والسهلَ الذهبَ !!؟
تهجرُ السيارةَ المرسيديسَ الفخمةَ
والعطرَ ..

وأملأ كما عجب؟!
والشفاء اللثمي
والخذ الأسيل
والأغاني ..
والأمانى
وانتشاءات الأصيل؟!
ما الذى
يا أيها الإنسان .. قل لى :
غيرك؟!!



دفتر الشيكات ...
فى الدُرج الشمالى من المكتبِ
ما عادَ له فى قلبه
أى حساب
والرصيد الضخم فى البنكِ
هوى فى ناظريه ...
لم يعد يعدل حتى شسع نعله
غير صوت الحق فى أعماقيه
أضحى خراب

أُمُّ كَلْثُومٍ
وَفِيروزِ
وَسَلْمَى
وَعَتَابِ
كُلُّ هَذَا طَعْمُهُ مَلْحٌ
وَتَتْعَابُ غَرَابِ
وَضِياعٌ وَاغْتَرَابِ
وَكُثُوسٌ مِنْ سَرَابِ

(٤)

مَنْ ذَا الَّذِي قَدْ غَيَّرَكَ
وَأَخْرَجَكَ
وَحَوْلَكَ
مَنْ بَلْبِلِ عَائِشَ الْوَدَاعَةِ
وَالسَّكِينَةِ
وَالرَّفَاهَةِ
وَالتَّعْمِ
لِكَاسِرِ
ضَارِي الْعَزِيمَةِ
هَمُّهُ خَوْضُ الْمَعَارِكِ

والفيالق
والخنادق
والضرم؟
سبحان من سواك
ثم عدلك
فى صورة شماء
شاء ركبتك
يايها الإنسان
— فى ساحاتها —
ما أعجبتك؟

(٥)

قد كان ثم صار
من جده
لغزنة
لقنيد هاز
حيث الجليد
والحديد
والزحوف
واللظى المواز

حبُّ الجبالِ السودُ
والقفازُ
حيثُ الهزيمُ والدمارُ
وغربةٌ ...
بعيدةٌ المدى عن الديارِ
لكنه في زحفِهِ .. وعصفِهِ
— رأيتُهُ —

كمارجٍ من نازِ
سلاحُهُ الرشاشُ
والبقيُّ
والنهازُ.
رأيتُهُ
في زحفِهِ وعصفِهِ
لِليلِ والمدى وللصخورِ ..
من زحوفِهِ انبهارُ

(٦)

يا مصعبُ الحديدِ
يا عزيمةً حديدِ
طوبى ..

فقد هويت
في مضمارها شهيد .
طوبى
لك الخلود
في مقامك السعيد
يا مصعب المجيد .

إسلام آباد
مارس ١٩٨٨

الشهيد عبد الله عزام الفارس الذي صعد

كان أول لقائى بآبن فلسطين الدكتور عبد الله عزام فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٨١ فى مدينة «سبرنج فيلد» بولاية ألينوى بالولايات المتحدة حيث عقد مؤتمر الشباب المسلم العربى، وكان شعار المؤتمر «القدوة الحسنة»، وقد حضر الدكتور عزام ممثلاً لمجاهدى أفغانستان فى المؤتمر. وكان لقائنا الثانى ولقاءنا الثالث فى الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد ١٩٨٥ حيث كنا نعمل، ثم ترك الجامعة سنة ١٩٨٧ وتفرغ تماماً لتحمل أعباء الجهاد الأفغانى. وبعد انتهاء إعارتى عدت إلى مصر فى يونيو ١٩٨٩. وبعدها بأيام علمت أنه امشهد هو وابناه: محمد وإبراهيم بعبوة ناسفة فى مدينة بشاور الباكستانية قاعدة المجاهدين فى باكستان.

(١)

يا عبدَ اللهِ يا عزامَ

أنا أدعوكَ ...

أناديكَ

فهل تسمعنى؟

هل تسمعُ صوتى

هل تسمعُ؟

فى عالمك العُلُوِّى الأرفعُ؟

وأنا فى غربِةِ روحى

فى وطنى

أتحسُّ طينى

قيدي العاتي
ذنيا الناس الصماء الجوفاء
هل تسمع؟
هل تذكرني؟
هل تذكر أول لقيانا؟
قد كان لقاء مشهودا.

(٢)

من عشرة من الأعوام قد عرفتُه
خلفت البحار في مناطق الجليد
في العالم الجديد
في بلدة تدعى «سبرنج فيلد»
كان اللقاء الأول
والأرض والأشجار بيضاء من الجليد
والجوف في برودة تجمد البشر
وترعش الحديد والحجر
لكننا
من كل فج في أميركا قادمون
المسلمون يزحفون
وبالألوف يزحفون

« فى بلدة الجليد موتمر .

شعاره :

بالقدوة المثلى نصل ..

وننتصر»

ويومها ...

أحسستُ أن الدفء يَعْمُرُ القلوب

ويغمرُ الإحساسَ بالربيع

والعبير ... والأمل

« لا إله إلا الله

محمد رسول الله

عليها نجيا

وعليها نموت

وفى سبيلها نجاهد

وعليها تلقى الله »

وعندها تفرقتُ فى مقلتيّ دمعهُ الفرح

رأيتُهُم ...

وعشتُهُم

رأيتُ حمزة يمزقُ الصفوف

وخالدا بسيفه

يوزعُ الحتوف

والفرسُ والرومانُ يَفزعونُ
قلوبَهُمْ تحاولُ الفرارَ من صدورِهِمْ
ولات حينها فراز.
وفى عيونهم مذلةٌ يروغها انكسارُ
سمعتُهُ ... وعشتُهُ .. بلان
يزلزلُ الحصونَ والجدرانُ
بعزة الإيمانِ فى حلاوة الأذانِ
ومصعبا يرتلُ القرآنُ
فتمشِيراً من خشوعها القلوبُ والأبدانُ
ويلتقى الزمانُ بالزمانِ
والدفءُ يسرى من جديدِ
فى بلدةٍ تُدعى « سبرنج فيلد »
مدينة الجليدِ
إحدى بلادِ الأمرِكانِ .
وفجأةً
سمعتُ صوتَهُ
مُتقدِماً وهادِراً
وبالضياءِ عامراً
« عزائمُ ... يا عزائمُ .. قلنِ
فالحفلُ كلُّهُ معَكَ

ومنصتُ إليك .. لن يَمَلُّ»

— يا أمةَ الإيمانِ

قد جئْتُكم .. فى جمعيتى رسالةً

من مسلمى الأفغانِ

من أمةٍ قد أقسمتُ

أن تسحقَ الكفرَ العتْبَى

أن تهتكَ الظلمَ الغوى

أن تُطلعَ الفجرَ الندَى

فى دولةٍ دستورُها القرآنُ

زعيمُها النبى

سبيلها الجهادُ

والموتُ فى سبيلِ الله قه الأملُ

وغايةُ النضالِ والرُحوفِ والعملُ

(٣)

أما اللقاءُ الثانى فكانَ فى إسلامَ باذ

فى الجامعة ..

للعلمِ والأدبِ الرفيعِ

والفقهِ والقلبِ الربيعِ

كنا هناك .

ألقاه مبتسماً فأبتسمُ
يُلقى التحية والسلامُ
ويُغذِّمُ نحوَ الفصلِ سيرةً

(٤)

ثم اختفى فسألت عنه
فقيل :

— لا تبحث هنا ، وأبحث هناك
— وما هناك ؟

— حيثُ المدافعُ والختادقُ والصخورُ
حيث الكفاحُ المرُّ يحكى ملحمةً
كُتبتْ بماءِ القلبِ والأعصابِ
والأشلاءِ والعزمِ السعيرِ
فهناك خالدها

وسعدُ

والمثنى

والكتيبةُ

والنذيرُ

يتقدمون بفتيةِ الأفغانِ

فى زحفِ خطيرِ

و «عقابُ» سيدنا رسولِ اللهِ

فوقهمُ ترفرف كالهديرُ
ليحققوا النصر الكبيرُ
أو موتةٌ تزهو على الأكوان
« أنعم بالمصير »

« عزام » فى هذى الكتيبة فى بشاورُ
أو عند « غزنة » أو « هرات » و « قندهار »
ليلاً هنا ، وهناك فى ألقى النهارُ

(٥)

وقرأت فى صحف الدعارة
والخيانة و « الدلائر »
« القدس مسرى المصطفى
عزامُ يتركها يمزقها ويمزقها اليهودُ
كما يقاتلها هنا
لم لا يجالدهم هناك ؟
عزام .. يا عربى
فلتجعل جهادك للعرب »
ويجىء يا « عزام » ردك صاعقا
« أنا من هنا ...
وأنا كذلك من هناك ...

أبى الإسلام لا أبألى سواه
إذا افتخروا بقبس أو تميم
جنسيتى الدينُ الحنيفُ
قوميتى الدينُ الحنيفُ
ولا ونا لا ننين لا يتزعزعُ
لإلها ورسولنا
والحقُّ فى أعماقنا يتربعُ
والأرضُ أنى ما تكون
هى أرضُ كلِّ المسلمينُ
ما دام يسكنها مؤحدُ
القدسُ مثلُ «جلالِ باد» و«كابلي» .
ودمشقُ أو بغدادُ واليمنُ السعيدُ
كقندهارُ
والمسلمُ الحرُّ الأبنى
إما يرى الأهواءَ بالقاداتِ تلعبُ
والشهرةَ الجوفاءَ فى ساحاتها
أملاً ومطمعُ
راياتهم عميةُ
ورياحهم شرقيةُ غربيةُ ..
فى هذه الحال التى تُثدى الجبينُ

المسلم الحرّ الأبي
لا يطمئنُ لغيرِ رايَاتِ النبيِّ « .
(٦)

سألتهم ...
القادمين من هناك من بشاور
عن فارس .. عرفته .. صحبته
فما غدر ..
عاش الحياة قة تلامس القمر
فما انحنى .. وما انكسر
بل كان دائماً
في رحلة العناء ينتصر
كأنما من طينة قد صيغ
غير طينة البشر
فعالماً عرفته
يقينه بالله والكتاب والرسول
والقضاء والقدر
كموجة العبير في نقاوة المطر
أما الرضاء بالهوان عنده
فسقطه لا تغفر .
وفارساً عرفته

إذا عزم ..
فقد هجم
وإن هجم
فقد قصم
كأنما النصر الأبي
فى حياته قسم
وكان بينه وبين شرعة الجهاد
مثلا قرابة الرحم
فى الجهاد كلمته
وللجهاد عزمته
وللجهاد غضبته
وللجهاد ثورته
وللجهاد غربته
وللجهاد نومته
وللجهاد يقظته .
سألتهم ...
القادمين من بشاور:
وكيف مات .. ؟!
فبعضهم أجابنى
« كُتِبَ بِهِ الْجَوَادُ فِى غِيَابَةِ الْغَبَارِ

فانكسر...

فحاول امتشاق سيفه

مكبراً... وراجلاً...

لكنه القدر

فقبض الحسام في يمينه انكسر

وكفه كانت تجودُ بالدماءِ كالمطر

فقرّ في مكانه

ولم يفر

وصاح صيحةً كأنها البركانُ

والزلالُ والندُّ

«لن أنقهر...»

لن أنقهر...»

ومدّ كفه العصماء لابنه محمد

وبعدّها ماذا حدّث؟

لا أعرف..

فذاك غيبٌ لم أره..

لكنني وجدتُ في مكانه

حيث انفجر...

بقعاً من الدماءِ

والمضاءِ

والإباءِ
والضياءِ
تبتسم

(٧)

لكنَّ واحدًا يقول غيرَ ما سمعتهُ :
« رأيتُهُ فى ليلةِ الضبابِ
وهو يتنحَرُ... »

ويضربُ المجدافَ فى اللُّجى
لا ينسى .. لا يفتُرُ

والموجُ فوقَ الموجِ
مظلمُ الأحشاءِ

ظالمٌ .. مدمرٌ
لكِنَّهُ — رأيتُهُ —

يعانِدُ الرياحَ والتيارَ
والصخورَ والدُّجى
يَمضى ...

ويضربُ المجدافَ فى اللُّجى
بعزمه الصخرى
ناديتُهُ فى فزعةٍ ملتاغيةٍ

جريحه الصدى
والظلمة العصف تستبد
والموت في أحشائها
معربداً يمتدّ ...
« عزام .. يا عزام ..
كيف تعاند؟!
لا تبحرر ضده ...
فإنه معربد .. وفاجر
أودغها: عمداً وإبراهيم
في الضفاف
للحياة والشباب والأمل»
لكنه بابنيه قد أصر أن يمز
وساخرا ..
من الضباب والظلام والتيار .. مرّ
سمعتُه مهللاً مكبراً ...
من خلف جدران الضباب القاتم
« الله أكبر ...
قد وصلنا ...
لا تُرغ
لا تركننّ للهموم .. والفرغ »

.. سميت ... صمّت ..

ناديته .. فما سمع

وما سمعت .

لكنني ..

علمتُ أن صخرة سوداء

كالظلام .. خائنة

قد حطمت سفينة

ومزقت شراعهُ

وبعثت دماءً

فأعجزت دفاعهُ

وبعدّها ...

رأوا هناك في الظلام

في مكانه حيثُ انفجرتُ

بقعا من الدماءِ

والمضاءِ

والإباءِ

والضياءِ

تبتسم

(٨)

أما أنا

فإننى رأيتُهُ
نحو السماء صاعدًا وراقيًا
حاولتُ أن الأحقّة
وأدرَكَة
لم أستطع
فقد دهانِي اللهاثُ
والإعياءُ والوهنُ
ألسْتُ فى غيابةِ العبيدِ مرتَهَنُ
تشدنى للقاع والضياح طينتى
مجنونَةٌ عطشى لظلِّ زائلِ
فى دُئيتى .. ؟
لذاك تاهتُ صيحتى ...
رأيتُهُ
وفى يمينه عزيزه محمدُ
وفى يساره الحبيبُ إبراهيمُ
وصوتهم تكبيرَةٌ علويةٌ
«الله أكبرُ يا صحاب ..
جئنا لها ...
فزنا بها ..»
ناديتُهُ :

« مهلاً .. أبا محمد ..
خذنى معك .. »
لكنه فى سرعة الضياء
راح وانطلق
مجاوزاً نهرَ المجرّة والفلك
لسدّة علوية
أرقى من الأقطار والسماءِ
لا تحدها مشاعرٌ ولا بصرٌ
وخلفه
رأيتُ شلاًّلا من الدمِ الزكى
والمضاءِ
والإباءِ
والعلاءِ
والضياءِ ..
يبتسم ..

القاهرة

يوليو ١٩٨٩

نداء عاجل إلى قادة الجهاد الأفغانى

هَذَا النَّدَاءُ نُسَجِّتُهُ مِنْ مُقَلَّتِي وَكَتَبْتُهُ بِالرُّوْحِ وَالْوَجْدَادِ
وَرَوَيْتُهُ مِنْ مَاءِ قَلْبٍ مُخْلِصٍ .. مَتَعَطَّرَ... بِالرُّوْحِ وَالرِّيحَادِ
وَرَفَعْتُهُ مِنْ بُقْعَةٍ فِيهَا الثَّقَى وَالْكَعْبَةُ الْغَرَاءُ وَالْحَرَمَاءُ
وَأَمَدُ رُوحِي نَحْوَكُمْ بِحَرْفِيهِ فِي لَهْفَةِ الْمَشْتَاقِ وَالْوَلَهَائِ
... لَكِنَّهُ أَصْدَاءُ قَلْبٍ حَائِرٍ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَسَطْوَةِ الْأَحْزَانِ



يَا قَادَةَ الْأَفْغَانِ هَاكُمْ صرختى
يَا إِخْوَتِي «سِيَّافَ» يَا «ابْنَ عَمْدِي»
يَا «صِبْغَةَ اللَّهِ» اسْتَفِيقُوا وَاسْمَعُوا
يَا كُفُّمُ وَالْخُلْفُ بَيْنَ صَفُوفِكُمْ
كُنْتُمْ أَمَامَ عَدُوِّكُمْ أَسْطُورَةٌ
فَلْتَقَهَرُوا النَّفْسَ الَّتِي قَدْ تَنَحَّى
حَرْبُ الْجِيُوشِ سَبِيلُهَا مَعْرُوفَةٌ
فَإِذَا تَنَازَعَتْهُ أَهْوَى وَمَفَاتِيحُ الْ-
فَلْتَذْكُرُوا .. وَلْتُكْرِمُوا شُهَدَاءَكُمْ

يَا «يُونُسُ» يَا «شَاهُ» يَا «رَبَانِي»
يَا «حِكْمَتَانُ» وَأَنْتِ يَا «جِيلَانِي»
نَبِضَ الشُّعُوبِ بِأُمَّةِ الْقُرْآنِ:
فَتَنُوبَ رِيحِكُمْ كَعَصْفٍ وَإِنْ
يَشُدُّوْهَا فِي الْكُونِ كُلُّ لِسَانٍ
وَتَمِيلُ لِلْبَغْضَاءِ وَالشَّتَانِ
لَكِنَّ أخطَرَهَا هَوَى الْإِنْسَانِ
سَدْنِيَا غَدَا مِنْ فِرْقَةِ الشَّيْطَانِ
بِالْحُبِّ وَالْإِخْلَاصِ وَالْإِحْسَانِ

نَلُّوا دِمَاهُمْ عَنْ رِضَى وَعَقِيدَةٍ
تَفُّوا «الْجِهَادُ سَبِيلُنَا» وَتَقَدَّمُوا
زُرْغٌ! وَأَنْتَى يَفْزَعُونَ وَهُمْ لَهَا:
سَلِقُوا مَعَ اللَّهِ الْعَهْدَ وَجَاهِدُوا
لِلَّهِ وَالضَّعْفَاءِ وَالْوَالِدَانِ
مَا آتَابَهُمْ فَنَزَعٌ مِنَ النَّيْرَانِ
بِأَسِّ وَعِزْمٌ قُدَّ مِنْ صَوَانِ
فَإِذَا هُمْ فِي الْحَرْبِ مَوْتٌ ثَانِ



تَوَحَّلُوا يَا قَادَةَ.. كَمُحَمَّدٍ..
نَتَى يُتَمِّمُ اللَّهُ نِعْمَةَ نَصْرِهِ
الْمُسْلِمُونَ— كَمَا يَقُولُ نَبِيُّنَا:
إِذَا وَقَفُوا بِوَجْهِ عَدُوِّهِمْ
يَبْتَوِ عِلَاتِهِمْ عَلَى صَفْوِ الثَّقَى
ذُمَا تَشَكَّى مِنْهُ عَضْوٌ وَاحِدٌ
لِذَا كِتَابُ اللَّهِ فَاعْتَصِمُوا بِهِ
مِنْ اسْتِعَانٍ بِغَيْرِهِ فَقَدْ الْخَطَى
يُوحِّدُ الْإِلْحَادُ صَفَّ عَدُوِّكُمْ
بِنَ بَعْدِ أَنْ كُنْتُمْ كِيَانًا رَائِعًا
بِقَادَةِ الْأَفْغَانِ إِنَّ عَدُوِّكُمْ
يُورَاغُهُ دُونَ تَدْعَمُ بَغْيِيهِ
يُفَرُّونَ شَعْبِكُمْ الْجَرِيحَ الْمَبْتَلَى
وَكَذَلِكَ «بَعْضُكُمْ» بِجَلْمِ زَائِفٍ
وَصَحَابِهِ فِي بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ
وَيُجِلُّ لِعَنْتِهِ عَلَى الْعُدْوَانِ
لَنْ يَسْلَمُوا مِنْ عِنَةِ الْخُسْرَانِ
صَفًّا تَلَاخُمُهُ كَمَا الْبُنْيَانِ
فِي وَحْدَةٍ كَالْجِسْمِ لِلْإِنْسَانِ
سَهَرَتْ لَهُ الْأَعْضَاءُ فِي الْجُسْمَانِ
هُوَ حَبْلٌ رَبِّي خَالِقُ الْأَكْوَانِ
فِي دَرْبِ ذَلِكَ خَانِعِ خُسْرَانِ
عَجَبًا!! وَتَفْتَرِقُونَ بِالْإِيمَانِ!؟
ذَا وَحْدَةٍ صَخْرِيَّةِ الْأَرْكَانِ
وَرَصِيدِهِ كَنْزُ مِنَ الْبَهْتَانِ
بِالْمَكْرِ وَالْإِغْرَاءِ وَالسُّلْطَانِ—
بِالسُّلْمِ وَالْعَيْشِ السَّعِيدِ الْهَانِ
فِي الْحَكْمِ بِاسْمِ الْحَقِّ وَالْمِيزَانِ

فلتحدّثوا أن يُرجعوا ذلك الذي
نُعَمَّتْ ملامسُهُ وسُمُّ نِيوبِهِ
هو «ظاهر» في الأبهاتِ و«باطن»
إنَّ عَادَةَ يَمْلِكُ فالضياغُ مصيركم
وأضعفتم ثمَّ الجهادِ وصرتم

حَكَمَ البلادَ بِشِرعَةِ الشعبِ
تُرْدَى فريستَهُ خلالَ ثَدِّ
عند انتهاب «الدب» للبسِ
ومصير شعبيكمُ الجريحِ العا
ظغما لجيش الكفرِ والعص



ولتحدّثوا خُدعَ السلامِ وبرقَه
لا تسمعوا لنداء من يدعونكم
«ألقوا السلاح لتدخلوا بخياركم
من أجل من قد شردوا بمتاهة
من أجل حقن الباقيات من اليعا
قولوا لهم «من قد أراق دماءهم؟
قولوا لهم من أدخل الروس الكلا
كى يضمّنوا الكرسي تحتهم وفي
والمسلم الحق الأشم جبينه
فالجاه والسلطان في منظوره
وجهاذة للحق حتى لو قضى

من بعد ما لآخ انتصاره
باسم الفقير الجائع العطش
في السلم بعد نذيرنا العرن
عند الحدود هناك كالعُبد
فلقد قضى في الحرب مليونان
عجبنا!! أيبكى للضحية جان
ب لأرضنا بالغدور والإدعا
كرسيهم ذكرى أسمى وهوان
يعلو على الأهواء والسلطا
عرص حقيراً أو عشاء فاد
أو عاش طول العمر في جرمان



قولوا لهم «إنَّ الجهادَ سبيلنا

حتى نحقق دولة القراد

تتورُّها آئُ الكتابِ وسنَّةُ نبويةٌ تسمُو على الأزمانِ
عيشَ أمتنا حياةَ حرةٍ فسي عزةٍ وكرامةٍ وأمانِ
عائقَ المحرابِ أنوارَ الصَّحى والفجرِ والأنفالِ والرحمنِ
رسلاتِ ويوسفِ ومحمدِ والنورِ والفرقانِ والإنسانِ

الظهران: أكتوبر ١٩٩١

كتب للمؤلف :

- ١ - منهج العقاد فى التراجم الأدبية .
- ٢ - أدب الخلفاء الراشدين .
- ٣ - أدب الرسائل فى صدر الإسلام .
- ٤ - التقليدية والدرامية فى مقامات الحريرى .
- ٥ - صوت الإسلام فى شعر حافظ إبراهيم .
- ٦ - التراث الإنسانى فى شعر أمل دنقل .
- ٧ - فن التشخيص فى مطولة الساحر العظيم للحسن العواد .
- ٨ - الشاعر الفلسطينى الشهيد عبد الرحيم محمود أو: ملحمة الكلمة والدم .

٩ - فى صحبة المصطفى .

١٠ - المدخل إلى القيم الإسلامية .

١١ - المعارضة فى الإسلام بين النظرية والتطبيق .

١٢ - آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم .

● العنوان: الظهران - جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران

٣١٢٦١

ص.ب: ١٦٤٠

رقم الإيداع: ١٩٩٢/٢٣٧٥

الترقيم الدولى: ٤ - ٢٦٢٠ - ٠٠ - ٩٧٧ .